الإلحاد بين التهمة والشبهة رؤية فكرية معاصرة

م.د. ماجد حميد كصاب

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة أقسام ذي قار

قسم علوم القرآن والحديث

البريد الألكتروني majid.kassab78@gmail.com

الكلمات المفتاحية : الإلحاد ، الرؤية القرآنية ، الشبهات والتهم ، الواقع العراقي

الملخص :

إنّ تنوع الدراسات الفكرية التي تعنى بأزمات الواقع تسهم بشكل كبير في الوقوف على تلك الأزمات بحثًا عن الأسباب ومن ثمّ الحلول عبرَ تحصين الأفكار من الشبهات والانحرافات ، وبالوقت نفسه فتح الباب أمام تنوع الأفكار برحابة صدر واجتناب الضيق أمام المختلف منها ، والابتعاد عن التوصيفات المنفّرة التي لا تستند إلى دليل واقعيٍّ ؛ لإنّ اطلاق التهم والتوصيفات المنفرة من شأنه أن يعكّر أجواء الأفكار والتواصل الإيجابي ولا يزيد من أصحاب الأفكار سواء أكانت حقة أم باطلة إلا تمسكًا واعتقادًا .

إذن مواجهة الانحراف الفكري لا تكون من طريق تسقيط أصحابه وتسفيههم ، وإنما مواجهة الفكر بفكر آخر يستند إلى دليل واقعي وفكر نافذ وقلب محب ، ومن المشاكل الفكرية تلك المتعلقة بأصول الدين مثل التوحيد والألوهية التي قوبلت ببعض الصيحات التي تنادي بالإلحاد والتنكر لهذه العقيدة ، وجميل أن ننطلق من كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((أنت مني بأمان اذا كان المسلمون منك بأمان)) .

Atheism between Suspicion and Charges : A Contemporary Intellectual Vision

Majid Hameed Kassab
mailto:majid.kassab78@gmail.com
Imam Al-Kadhum College of Islamic Sciences University / Dhi Qar
Department of Quran and Hadith Sciences

key words : atheism , Quranic vision , Suspicions and charges , Iraqi reality

Abstract:

The diversity of intellectual studies concerned with reality crises contribute greatly to finding up the causes and the solutions by fortifying opinions about suspicions and deviations, so that they can provide diversity of ideas with openness and avoiding distress for the opposing believers, and at the same time avoiding repulsive descriptions that are not based on the realistic evidence, because the launching of repulsive accusations and descriptions would disturb the atmosphere of ideas and positive communication, and would only increase the believers, whether true or false, holding on to their beliefs.

المقدّمة

على وفق منطق السنن الحياتية تكاد لا تنفك الثنائية المتضادة في الوجود والحياة ، فمقابل الخير يوجد الشر، ومقابل الحب توجد الكراهية والبغض ، ومقابل الإيمان يوجد الكفر ، فمقابل الاعتقاد بوجود الإله يوجد الجاحد أو المنكر أو الملحد ، ووجود تلك الثنائيات وجودًا طبيعيًا إنسانيًا يوشّح الحياة ، وكذا الفكر البشري في حركته الدؤوبة نحو الأهداف التي يسعى كل فريق أو كل لون فكري لتحقيقها .

إنّ التجاذبات الفكرية المعاشة في ساحة الحياة تمثل ظهورات بدهية لحالة الانتقال العقلي للأفكار بين مد وجزر وبين قبول ورفض ، فمثلا رأينا في ساحة الصراع الإسلامي اقتتالًا بين المسلمين راح ضحيته الآلاف ، وما زالت ظلاله إلى اليوم ماثلة في ذهنية المسلمين مخلّفة صراعًا يصل في كثير من الأحيان إلى الاتهام بالتكفير أو الإلحاد وأحيانا إلى التصفية ، وقلّما نجد من يعود إلى ذلك التاريخ طلبًا للحقيقة عوضا عن التسييس أو لنقل: التجهيل من تبرير الاعتداء والاستقواء ما بين المسلمين ، ومثل هذه الأحداث والصراعات حدثت في القارة الأوربية حيث يحرقون ويدفنون المخالفين أحياءً كما في محاكم التفتيش ، بيد أن الملاحظ أنّهم تجاوزوا تلك الحقبة المظلمة وأسسّوا – ولو بنحو معين – لعضوية الأفراد في مجتمع متعدد الوجهات والأفكار ، أمّا على مستوى الفكر الإسلامي ما زال الاتهام بالخروج عن الدين ماثلًا فيُتهم الشاك أو المتسائل بإنّه فاسد العقيدة أو ملحد .....

المبحث الأول : الرؤية القرآنية

من أبجديات الفرد المسلم الرجوع إلى القرآن الكريم عند التطرق إلى المسائل العقدية ولا سيما أنّ هذه المسائل وهي عقيدة الألوهية أو التوحيد ، فيجلي القرآن الكريم الرؤية بشأن هذه المسالة بعد أن يؤسس للإيمان بالله تعالى ومن ثم توحيده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة ٦٢ . وقال تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة ١٦٣ . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ الرعد ٢ . فهذه الآيات المباركة ومثلها كثير ترسم لوحة إيمانية تتدرج فيها عقيدة الإنسان من التأمل والتفكر حتى الوصول إلى درجة اليقين ومن ثم الوثوق بحكمة الحكيم وتدبير المدبر والتدرج الإيماني مبتناه الفطرة الإنسانية بعيدًا عن التمنطق والغوص في المسائل الكلامية.

أمّا من ينكر الألوهية أو وجود الإله وكذلك النبوة والذي يسمى ملحدًا كما سيتضح في التعريف الاصطلاحي فإنّه مصطلح مغاير لما ورد في القرآن الكريم من حيث معناه اللغويّ وكذا الاصطلاحي وهذا ما سنقف عليه .

الإلحاد لغة : أَلحَدَ بمعنى مارَى وجادَل ، وأَلحَدَ الرجل أَي ظلَم في الحَرَم ومعنى الإلحاد في اللغة المَيْلُ عن القصْد . ولَحَدَ عليَّ في شهادته يَلْحَدُ لَحْداً : أَثِمَ . ولحَدَ إِليه بلسانه : مال ، وأَصل الإلحاد : المَيْلُ والعُدول عن الشيء ، وأَلحَدَ في الحرم : تَرَك القَصْدَ فيما أُمِرَ به ومال إِلى الظلم . الحَدَ في الدِّين يَلْحَد ، وأَلْحَدَ : مَالَ وعَدَلَ وقيل لَحَدَ : مَالَ وجَارَ ، وقال ابنُ السِّكيت : المُلْحِدُ ، العادِلُ عن الحَقّ المُدخِلُ فيه ما ليس فيه ، يقال : قد أَلْحَدَ في الدِّين ولَحَدَ ، أَي حَادَ عنه [١] .

الإلحاد اصطلاحًا : هو مذهب من ينكرون الألوهية ، والملحد غير مؤله ، وهذا معنى شائع في تاريخ الفكر الإنساني ، ويتضمن رفض أدلة المفكرين على وجود الله ، وقد رُمي به بعض الفلاسفة والعلماء قديمًا وحديثًا ، فاتهم به سقراط في التاريخ القديم ، وابن رشد في التاريخ المتوس، ثم ديكارت واسبينوزا في العصر الحديث [٢] .

وعرّفه جميل صليبا في معجمه بعد أن مرّ على معناه اللغويّ المتقدم فقال : " والإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله تعالى ، ولكن الناس يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله وتارة على إنكار علمه وعنايته أو قدرته وإرادته ، ويكفي أن ينكر المرء أصلًا من أصول الدين اعتقادًا من الاعتقادات المألوفة حتى يتهم بالإلحاد ، ثم يقول : وليس لهذا اللفظ في التاريخ معنى محدود ثابت ؛ لاختلاف مفهومه باختلاف الزمان والمكان ، وربما كان أحسنُ تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله ، لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله ، أو تخالف معتقدًا دينيًا معينا أو رأيًا جماعيًا مقررًا " [٣] .

إذن ممّا تقدم من المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ نجد أنَّ معنى الإلحاد أصابه التغيير في الدلالة والمعنى ، على وفق التعبير القرآني يعني الميل عن القصد والذي سيأتي في تفسير الآيات القرآنية بينما في الوقت الحاضر يعني الإلحاد إنكار وجود الله تعالى أو بعض صفاته جلّ شأنه على ما في المعنى الاصطلاحي ، بيد أنَّه أصبح معنىً يستبطن التهمة بدل التوصيف ، وكما يقول جميل صليبا : في التاريخ أمثلة كثيرة تدل على أن العلماء الذين يأتون بالغريب وغير المألوف من الآراء يُمتحنون في حياتهم ، ويُمتهنون ، ويُتهمون بالكفر والإلحاد والزندقة ، ويكاد يكون تطور معنى الإلحاد موازيًا لتطور فكرة التعصب ، فكلّما زاد التعصب كثر عدد الملحدين في نظر الناس والعكس بالعكس [٤] .

وقال بعض الشارحين : الإلحاد ضربان : الشرك بالله ، والشرك بالأسباب ، فالأول ينافي الإيمان ويبطله ، والثاني يوهن عراه ويعطله [٥] .

الآيات القرآنية

تحت هذا العنوان أتناول الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الإلحاد للوقوف على معناه في المصطلح القرآني .

قال تعالى : وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأعراف : ١٨٠) .

يقول الزمخشري : واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى ، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه ، كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم : يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ، أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا : يا الله ولا يقولوا يا رحمن ، وقد قال الله تعالى : قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى [٦] .

وقيل : ويجوز أن يُراد : ولله الأوصاف الحسنى ، وهي الوصف بالعدل والخير وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر، وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه وقد قال أهل التفسير من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة وقد ذكر منها في آخر سورة الحشر عدة وختم ذلك بأن قال : له الأسماء الحسنى قال وما يتخيل من الزيادة في العدة المذكورة لعله مكرر معنى، وإنْ تغاير لفظًا كالغافر والغفار والغفور مثلا فيكون المعدود من ذلك واحدًا فقط فإذا عُدّ ذلك وجمعت الأسماء الواردة نصًا في القرآن وفي الصحيح من الحديث لم تزد على العدد المذكور[٧].

وقال الفخرُ الرازيّ : الإلحاد في أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه : الأول : إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله ، مثل أن الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة ، ومن ذلك أنهم سمّوا أصناماً لهم باللات والعزى والمناة ، واشتقاق اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، واشتقاق مناة من المنان . وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه بالرحمن ، والثاني : أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به ، مثل تسمية من سمّاه – أباً – للمسيح ، وقول جمهور النصارى : أب ، وابن ، وروح القدس ، ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم على الله سبحانه ويسمونه به ، ومثل أن المعتزلة قد يقولون أثناء كلامهم ، لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيهاً مستحقاً للذم ،

وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب ، قال أصحابنا : وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله ، فإنه ثبت بالدليل أنه سبحانه هو الخالق لجميع الأجسام ، ثم لا يجوز أن يقال : يا خالق الديدان والقرود والقردان ، بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذه الأذكار ، وأن يقال : يا خالق الأرض والسماوات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات إلى غيرها من الأذكار الجميلة الشريفة . والثالث : أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه ، فإنه ربما كان مسماه أمراً غير لائق بجلال الله ، فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء [٨] .

وقال السيد الطباطبائيُّ : وذروا الذين يلحدون في أسمائه " إلى آخر الآية . اللّحد والإلحاد بمعنى واحد وهو التطرف والميل عن الوسط إلى أحد الجانبين ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح الذي في الوسط فقراءة يلحدون بفتح الياء من المجرد ، ويلحدون بضم الياء من باب الأفعال بمعنى واحد ، ونقل عن بعض اللغويين : أن اللحد بمعنى الميل إلى جانب ، والإلحاد بمعنى الجدال والمماراة [٩] .

قال الشيخ مكارم الشيرازيّ : والإلحاد – في الأصل – مأخوذ من مادة " اللحد " على زنة " المهد " التي تعني الحفرة التي تقع في طرف واحد ، وعلى هذا الأساس فقد سميّت الحفرة التي تكون جانب القبر " لحدًا " . ثم أطلق هذا الاستعمال " الإلحاد " على كل عمل ينحرف عن الحد الوسط نحو الإفراط أو التفريط ، ولذلك فقد سمّي الشرك وعبادة الأوثان إلحاداً أيضاً ، والمقصود من الإلحاد في أسماء الله هو أن نحرّف ألفاظها أو مفاهيمها ، بحيث نصفه بصفات لا تليق بساحته المقدسة ، كما يصفه المسيحيون بالتثليث " الله والابن وروح القدس " أو أن نطبق صفاته على المخلوقين كما فعل ذلك المشركون وعبدة الأوثان إذ اشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله فسموها اللّات والعزى ومناة... (وغيرها) فهذه الأسماء مشتقة من الله والعزيز والمنّان " على التوالي " ، أو أنهم حرَّفوا صفاته حتى شبّهوه بالمخلوقات ، أو عطّلوا صفاته ، وما إلى ذلك . أو أنّهم اكتفوا بذكر الاسم فحسب دون أن يتمثلوه ويعرفوا آثاره في أنفسهم وفي مجتمعاتهم [١٠] .

اللّحد والإلحاد الميل عن القصد ، ومعنى الجملة النهي عن اطلاق أية كلمة تشعر بالربوبية على غيره ، سواء أكان ذلك الغير نبيًا أو كوكبًا أو صنمًا أو أيَّ شيء ، وأيضا لا يجوز اطلاق أيّة كلمة عليه تشعر بغير الربوبية كالأب والابن [١١] .

ممّا تقدم يتضح الرابط المشترك بين هذه الآراء أن معنى الإلحاد هو الميل عن القصد .

قال تعالى : وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (النحل : ١٠٣) .

في هذه الآية المباركة أيضاً يلحدون هنا يميلون ، أي أنّ الذين اتهموا النبي الكريم بأنّه تعلّم أو جاء برسالته من لسان اعجمي على الرغم من هذا الكلام شبهة ماثلة إلى يومنا الحاضر ، فانّهم قد مالوا وحادوا عن الحق الجلي بانّ هذا اللسان عربيٌ مبينٌ ، وقد ناقش السيد الطباطبائيُّ الآية والشبهة في الوقت نفسه مناقشة مستفيضة (١٢) .

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (الحج : ٢٥) .

قال الشيخ الطبرسيُّ : والإلحاد العدول عن القصد ، واختلف في معناه ها هنا فقيل : هو الشرك وعبادة غير الله تعالى ، فكأنه قال : ومن يرد فيه ميلًا عن الحق ، بأنْ يعبد غير الله ، ظلمًا وعدواناً . وقيل : هو الاستحلال للحرام ، والركوب للآثام ، وقيل : هو كل شيء نهى عنه حتى شتم الخادم ، لأنَّ الذنوب هناك أعظم (١٣) .

وفي هذه الآية أيضاً ما زال المعنى ماثلًا وهو الميل عن القصد كالذي يذهب للبيت الحرام قصد التهذيب وتزكية النفس ، فيميل عن قصده هذا بارتكاب المحارم واكتساب المآثم فهو في واقعه قد مال وانحرف عن قصده .

قال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (فصلت : ٤٠) .

تكاد تتفق آراء المفسرين حول هذه الآية المباركة أن معنى الإلحاد هنا الميل عن القصد ، فمثلًا قال الشيخ الطوسيُّ : والإلحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه فمعنى " يلحدون في آياتنا " يجورون عن الحق فيها . وقيل : هو تسميتهم الأصنام بأنها آلهة (١٤) .

أي أن الميل والانحراف عن الآيات والبراهين الجلية أدى بهم إلى انحراف سلوكي وعملي ؛ لذا استحقوا التهديد والعذاب بما كسبوا وبسبب الاعتداء الذي يحل من بعضهم على بعض .

المبحث الثاني : تاريخيّة الإلحاد في الفكر الإسلاميّ

من الصعوبة تحديد تاريخ بعينه لنشأة الإلحاد ؛ وذلك لإنَّ وجوده مقترن بوجود البشر ويتعاقب بتعاقب حقبهم ، والكثير من الدراسات المعاصرة اهتمت بظاهرة الإلحاد وأرخّت لها أوربيًا بدءًا من هيمنة كثير من الفلاسفة وتوسلهم بالعقل للوصول إلى المعرفة ولا سيما في العصور اليونانية الأولى إذ كتب عبد الرحمن المرزوقيّ في مقدمة كتابه تحقيق ما للإلحاد من مقولة نبذة موجزة ومهمة عن تاريخ الإلحاد في الفكر الفلسفي اليوناني وانه كان متفشيًا عند كثير

منهم ، فينقل مثلا عن كتاب (طبيعة الآلهة) لشيشرون الفيلسوف الروماني حكايته عن الفيلسوف اليوناني ديوغراس الملقب بالملحد عندما حاججه احد الرسامين من أجل بعث روح الإيمان داخله قائلًا له : أنت الذي لا تؤمن بالعناية انظر إلى هذه اللوحات التي تصور كم من الناس نجتهم صلواتهم من الغرق في البحر ! فرد عليه أنا أرى الناجين لكن الهالكين الذين غرقوا أين صورتموهم ؟ بمعنى أن الإيمان بمبدأ معين يعمي نظرك عن نقيضه أوقل المبادئ الأخرى ، ثم يختم الكاتب مقدمته بقوله : " إذن النصوص الفلسفية والشهادات التاريخية وما تبقى من شذرات فلاسفة ما قبل سقراط تبين ما فيه الكفاية أن الملحدين موجودون وإنَّ نكران الألوهية ليس بدعة ابتدعها مفكرو العصر الحديث بل هو مساوق للتفكير الحر منذ القديم " [١٥] .

هذه المرحلة التاريخية تركت آثارها في الفكر الغربي ومنه انحدرت إلى الفكر الإسلامي في بواكيره عبر الترجمة والتأثر بالنتاج اليوناني والأرسطي وبالتحديد من جهة الفيلسوف العربي ابن رشد الذي بدوره اتّهم بالإلحاد أيضا ، ثم ينتقل الفكر الغربي إلى محاكمة بعض المفكرين الناقدين للنصوص الدينية وتأويلها حسبما يقتضي منطق العقل وذلك في عصور ما قبل التنوير ولا سيما قبل القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين بعدها يأتي عصر التنوير في القرنين المذكرين والذي تجلّى فيه رفض كثير من المفكرين للكنيسة والخروج عليها وتحييدها عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وهذا ما مثل إرهاصا لكثير من الأفكار الإسلامية ، والتي أخذت بعض مفرداتها من الثورة الغربية ، حتى أصبح من ينظر إلى تلك الأفكار التي تأثر أصحابها بالأدلجة الغربية والثورة الدينية هناك فيعدها منحرفة أو ملحدة وأصحابها متأثرون بالغرب أو ملحدون كذلك ، ولكن قبل هذا التاريخ لا بد من الإشارة ولو على سبيل الاختصار إلى تاريخ الاتهام بالإلحاد في الفكر الإسلامي ، وقلت الاتهام !! لأنَّ أبرز الأشخاص الذين وصفوا بالإلحاد هم في نظر كثير من المفكرين مؤمنون ، هم فكروا – فقط – بروح فلسفية تصطدم أحيانًا مع النصوص الدينية ، وهذا ما يدعونا إلى وصفها بالتهمة .

عند المرور على التاريخ الديني الإسلامي ولا سيما في بواكير الحياة الإسلامية عندما نشب القتال بين المسلمين وأُريقت الدماء لم تُطلق تسمية الإلحاد على أي فريق ، ربما شاعت مصطلحات الكفر أو الخروج عن الطاعة أو الزندقة ، وهذا ما دأب عليه عبد الرحمن بدوي في كتابه (من تاريخ الإلحاد في الإسلام) إذ بدأ بالزندقة ، على الرغم من إقراره بأنّه مصطلح شائك وخلافي بين المفكرين " فكان يطلق على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم هما النور والظلمة ، ثم اتسع المعنى بعد ذلك اتساعًا كبيرًا حتى اطلق على كل صاحب بدعة وكلِّ

ملحد ، بل انتهى به الأمر أخيرًا أن يطلق على من يكون مذهبه مخالفًا لمذهب أهل السنة ، أو حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب " [١٦] .

والمتأمل بتلك الحقبة وحتى في الوقت الحاضر يجد كثيرًا ما تطلق تلك الأوصاف لتصفية الخصوم ؛ لان التوصيف يلاقي رفضًا وامتعاضًا من عامة الناس فيكون مبررا لإنزال العقاب لمن اتصف به نظير ذلك ما حدث في محاكم التفتيش عندما أصبحت وسيلة ابتزاز وتهديد راح ضحيتها كثير من الأبرياء ، وكذا الزندقة كانت في كثير من الأحيان وسيلة تهديد وربما تهمة مبَيّتة للإيقاع بشخص معين ، كما يقول بدوي : " ولم يكن كل هؤلاء الذين يتهمون بالزندقة زنادقة حقا ، وإنما كان منهم من يتهم لأسباب سياسية ، فقد اتخذ الخلفاء العباسيون من هذا الاتهام وسيلة للقضاء على خصومهم من الهاشميين [١٧] .

وقد سار على طريقة عبد الرحمن بدوي في استعراضه أبرز الشخصيات التي أُشير اليها بتهمة الإلحاد عندما بدأ بابن المقفع ثم الراوندي ثم أبي بكر الرازي وانتهاء بجابر بن حيان كذلك سار على المنوال نفسه عصام محفوظ في كتابه (حوار مع الملحدين في التراث) في محاورة شيقة مع الشخصيات نفسها باستثناء ابن المقفع ، على الرغم من أنّه في مقدمة كتابه أشار إلى أنّ التوصيف بالإلحاد قد يكون متأتٍ من رفض الواقع السياسي والمرتبط دينيًا بالسلطة الحاكمة آنذاك بعدما تجمع الجانبين الديني والدنيوي وهذه السلطة بالذات حاربت عملية التفكير خارج نطاقها او الرفض للسياسة القائمة ، بمعنى أن كثيرًا من تلك الأفكار جاءت بمثابة ردات فعل على الاستئثار بالحقوق والظلم المتفشي باسم الدين ، فأطلقت الأوصاف بموازاة العقاب ، فيقول : ليس بالإمكان تقويم تلك الظاهرة الإلحادية تقويمًا أمينا بسبب غياب النصوص الإلحادية التي لم يبقَ منها في الذاكرة التراثية سوى العناوين وسوى تلك التي دونها خصوم الملحدين في الرد عليهم ، ونرى أن الملاحدة المسلمين لا تنطبق عليهم صفة الإلحاد في المفهوم الغربي التي تعني إنكار الله تعالى ، فهم اعترفوا بوجود الله وحاولوا تنزيهه من الأخطاء التي زعموا أنها ارتكبت باسمه ، واذا كان ثمة حكم منصف على الملحدين الصادقين تمييزًا لهم عن المنافقين الموجودين في كل زمان فيجب القول انهم بتغليبهم الشك على الإيمان انحازوا إلى الإنسان ضد الاستبداد الدينيٍّ وغير الدينيّ [١٨] .

وقريب من هذا الكلام ما قاله محمد عمارة عندما يثبت الأصول اليونانية لظاهرة الإلحاد منتقلًا إلى الفكر الإسلامي : " لم يكن الإلحاد ظاهرة في تاريخ الحضارة الإسلامية بل لا نلمح له وجودًا حقيقيًا ، وقد نجد شخصيات قلقة قبال الإيمان الديني وغالب هذا القلق إنما كان بمعايير المذاهب التي تقف عند ظواهر النصوص الدينية والتي تنفر من التأويل ، أما اذا عرض هذا

القلق على مذاهب التأويل التي اتسعت آفاقها في الفلسفة الإسلامية التي جعلت الشك المنهجي السبيل إلى اليقين فلن نجد لهذا القلق أثرًا يربط بينه وبين حقيقة الإلحاد " [١٩] .

وهذا يثبت ما مال إليه الباحث وهو أنّ كثيرًا من الحركات التي وصفت بالزندقة سابقًا وبالإلحاد حاضرًا هي في واقعها ردّات فعلٍ ورفضٍ للواقع المتردي الذي صودرت فيه الكرامات .

يقول المرزوقي : إنّ بعض المتدينين وجدوا انفسهم أمام الإلزام الأخلاقي على القول بأنه من الأفضل أن يتبنّى احدهم الإلحاد عوض أن يكون لديه تصور خاطئ عن الله ، ذلك أن إنكار وجود الاله هو اقل انتهاكًا واخف ضررًا من الاعتقاد بما ليس هو الله وما لا يمكن أن يكون [٢٠] . من المؤكد أن هذا الرأي لا يكون مبررًا للإلحاد إطلاقًا ، فمن يؤمن بالله ويحبه فانه يجاهد من أجل إيمانه وحبه لا أنْ ينكر معشوقه ؛ ولكن بالإمكان القول أنّ اهتزازًا عقديًا حدث عند بعض المؤمنين بسبب سلوك آخرين خلافًا لما يؤمنون به ويسوقونه على غيرهم عقيدة لا تقبل النقاش ، وهذا مشابه تمامًا لما عاشه الفكر الغربيّ قبيل عصر التنوير ـــــ كما مرّ ـــــ عندما رفض كثير من المفكرين التعسف الديني وإلغاء الآخر عبر جهودهم الفكرية وإن كان في بعضها مجانبة للصواب كما في الفيلسوف الألماني نيتشه الذي عبّر عن نظريته أو رأيه الفلسفي الذي سماه (موت الله) ، وما هو في حقيقته إلا ردة فعل قاسية قد لا تعني الحاد الرجل بقدر ما تعني ما وصل اليه الدين المسيحي من إقصاء الحياة خارج إطار الكهنوت فأصبحت السلطة السياسية الممولة كنسيًا تقرب من اتبع هواها وتقصي من عارضها وتقتله وتحرقه [٢١] .

يقول غوستاف لوبون : إن الزمن هو الذي يطبخ آراء الجماهير وعقائدها على ناره البطيئة بمعنى أن بعض الأفكار التي يمكن تحقيقها في فترة ما تبدو مستحيلة في مدّة أخرى فالزمن يراكم البقايا العديدة جدًا للعقائد والأفكار وعلى أساسها تولد أفكار عصر ما ، فهذه الأفكار لا تنبت بالصدفة أو من طريق المغايرة ، وإنما نجد جذورها تضرب عميقا في ماضٍ طويل [٢٢] ، بمعنى أن كثيرا من العقائد قد تكون وليدة ظرف معين ساهم بنضجها ، وامتداد الزمن كفيل بترسيخها ، وقد ارتأى الباحث المرور على شخصين اتهما بالإلحاد في الفكر الإسلامي وبالوقت ذاته خلف ذانك الشخصان جدلًا كبيرًا في الأوساط المهتمة بالشأن الفكري ولا سيما ظاهرة الإلحاد وهما ابن الراونديّ وجابر بن حيان .

١ – ابن الراونديّ هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي المعروف باسم ابن الراوندي ، شخصية خلافية بامتياز ، بدأ الخلاف حول ولادته ووفاته لكن المتفق عليه أنّه ولد في بداية القرن الثالث الهجري وتوفي في نهايته ، وكذا اختلف المؤرخون حول عمره فمن قائل

إنّه عاش أربعين سنة ومنهم من قال انه عاش ثمانين سنة ، وحول موته كذلك فمنهم من قال انه مات مصلوبًا وقيل مات في بيته ، لذا قيل : " كان أبو الحسين احمد بن يحيى بن محمد في الذاكرة العربية الإسلامية أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة ؛ لانّ كتبه التي تربو على المئة كتاب اختفت جميعًا فبدا كأنه اختراع خصومه ، لولا أن بعض المستشرقين استطاعوا في مطلع القرن العشرين أن يكتشفوا كتبًا لخصومه تتضمن مقاطع من كتاباته كافية لتجسيد بعض ملامح تلك الشخصية الأسطورية " [٢٣] ، وقريب من هذا الرأي ذهب عبد الرحمن بدوي فقال : " إنّا لا نعرف إلى الآن إلا الشيء القليل من حياته وأطوار حياته العقلية ، حتى أنّ تاريخ حياته ووفاته لم يثبتا قطعًا " [٢٤] .

بدأ ابن الروانديّ حياته في راوند المدينة التي تقع في أصفهان ، ثم التحق بالمدارس الدينية آنذاك بعدها سافر إلى بغداد وعمل نسّاخًا للكتب ، وعرف عنه في هذه المدة الفطنة والذكاء والتوقد ، والملاحظ في حياة ابن الراونديّ أنّه لم يستقرّ له بال من حيث الاعتقاد الدينيّ بمذهب معين ، فكان في بادئ أمره في بغداد معتزليًا مدافعًا عن الاعتزال ثم خرج منه ليؤلف كتابًا اسماه (فضيحة المعتزلة) ردًا على كتاب الجاحظ (فضيلة المعتزلة) وقد كتب ابن الخياط كتابًا سماه الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، اي ينتصر فيه للمعتزلة من ابن الروانديي مستجيرا فيه بكثير من الأوصاف والنعوت المشتملة على السباب والشتم فمثلا يذكر ابن الروانديي رأيا فقهيا للمعتزلة " واهل المذهب يزعمون أن أموال الناس محرمة عليهم ـــــ فكان الرد من ابن الخياط ـــــ وهذا القول كان يقوله الخبيث في آخر صحبته للمعتزلة وصحبه على ذلك أحداث فكلهم أظهر إلحاده وانكشف كفره ولولا طهارة المعتزلة وبراؤتها من الأدناس لقد كان عرضّها هذا الخبيث عند إظهاره هذا المذهب ، ولكن الله اظهر براءتها منه فكانت هي أشد الناس عليه حتى لقد هجره أكثرها فبقى طريدًا وحيدًا ؛ فحمله الغيظ الذي دخله أن مال إلى الرافضة إذ لم يجد فرقة من فرق الأمّة تقبله " [٢٥] .

ثم ينتقل إلى الإمامية ويكتب كتابًا هو (الإمامة) مؤيدا فيه أحقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة بعد النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يقول عبد المنعم المحجوب : إنّ ابن الراوندي تبنى الرأي الذي يقول لا إمامة إلا بالنص والتعيين ، وقد نص النبي الكريم (ص) على علي (عليه السلام) في مواضع عدة ، واعتقد أن ذلك كان سببا في وصفه بالملحد [٢٦] .

بعدها يخرج من الإمامية ليتجه اتجاهًا آخر يردّ فيه على أغلب العقائد الإسلامية ، النبوّة والقرآن الكريم وإعجازه وبلاغته وفريضة الحج والصلاة ... فمثلا يذكر عصام محفوظ إحدى

النوادر التي وردت عنه في كتاب (النكت عن ابن الراوندي) للنوبختي فيقول : إنّه كان واقفاً بجوار رجل يبيع الباقلاء فرأى غنيّا يشتري الباقلاء فيأكل لبّها ويرمي قشرها ويمضي لا حامدًا ولا شاكرًا ، ثم رأى فقيرا يلتقط قشور الباقلاء فيأكلها حامدا شاكرا لله ، فيقترب منه ابن الراوندي ويصفعه صفعة محرقة قائلا له : ما تجرأ الله علينا معاشر المساكين إلا منك ومن أمثالك ، إذ علم منكم الشكر على أكل القشور [٢٧] .

ومن ذلك أيضاً اعتراضه على إعجاز القرآن ، علمًا أنّه يشاطره في هذا الاعتراض كثيٌر من المفكرين المسلمين ومنهم الجاحظ ، ولكن عندما يجري النقاد مقارنة بين الجاحظ وابن الراوندي يتحاشون الجاحظ ويهجمون على ابن الراوندي والسبب هو قرب الجاحظ من أصحاب القرار وبعد ابن الراوندي عنهم فتكال التهم له ويُعفى غيره منها " لقد ساير الجاحظ كل السلطات التي تعاقبت على الحكم في حياته سواء أكانت متسامحة مع النقد الديني أو التي كانت ضده حريصا على تقبل عطاياها بعكس ابن الراوندي الذي عاش مغضوبا عليه ملاحقًا لاعنًا وملعوناً " [٢٨] ، أمّا اعتراضه على الإعجاز القرآني فهو قوله متسائلا : وهب أن باع فصاحته طالت على العرب فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللّسان وما حجته عليهم ؟ وقد نقل هذا الكلام عبد الرحمن بدوي من كتاب المجالس المؤيدية لمؤيد الدين هبة الله بن أبي عمران الشيرازي الإسماعيلي داعي الدعاة في عصر الخليفة المستنصر بالله الإسماعيليّ ، ومن أهم كتبه كتاب المجالس الذي يحتوي على ثمانمائة مجلس أي محاضرات ألقاها في دار العلم بالقاهرة والتي احتوت في بعضها ذكرًا لآراء ابن الراوندي وردودًا عليها منها ما تقدم من اعتراض ابن الراوندي على الإعجاز ، وهنا يرد مؤيد الدين بقوله : إن الكلام ألفاظ مقدرة على معانٍ ملائمة لها ، والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه ومعلوم أن الأجساد من حيث كونها أجسادًا لا تتفاوت كثيرًا ، وإن رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام ، وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هي المعاني ، فان نفسًا واحدة تقع بوزن الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس اليها والحاجة إلى الامتياز ، والقرآن هو كلام بمثابة الجسد ومعناه روحه الذي كنى الله تعالى عنه بالحكمة ، فإعجازه في معناه الذي يقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات ، والحجة فيه أن ما كان ظاهره بمنزلة الجسد وفيه إعجاز ، فما يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة تفتقر النفوس إليها كلها؟ [٢٩] .

تلك التساؤلات تعبّرُ عن شخصيّةٍ قلقةٍ مترددةٍ ، وفي أحيان كثيرة ينكر بعض العقائد أو يعترض عليها مثيرًا حفيظة المؤمنين الذين ايقنوا فطريًا من دون مواجهة الشكوك والشبهات أنها عقيدتهم الراسخة ، أي أن هذه التساؤلات تعبر عن استفزازه لإيمان غيره الذي ورثه عن آبائه .

إنّ التساؤلات المعاصرة التي تمثل شريحة كبيرة في المجتمع المسلم ولا سيما العراقي لا تعدو كونها – وفي كثير منها – مغالطات أو شبه ارتدت من أصحاب الدين عندما يفسرون الدين تفسيرًا لا واقعيًا بل ينأون بأنفسهم عن رهانات الحياة ومشاكلها وأحداثها المتقلبة منعرجين نحو حلول ترقيعية تستند إلى رؤى دينية متبناة أو نصوص مؤولة لا تعبر بالضرورة عن الدين نفسه ، ومن المؤكد أن ذلك يخلف فجوة بين الدين والحياة ؛ ليعيش الإنسان مترددًا شاكًا ممتعضًا كما حدث لابن الرواندي مثال ذلك من يمارس الوعظ الديني وينصح الناس بالأمانة والنزاهة وإحقاق الحق وإنصاف الناس ويقول إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر في حين أن مجلس وعظه يقيمه سارق للحقوق خائن للأمانة ... هذا التناقض الذي يخلق التردد والجفاء ويذكي التساؤلات الناقدة .

٢- جابر بن حيّان:

هو أبو عبد الله جابر بن حيّان بن عبد الله الكوفيّ المعروف بالصوفيّ . واختلف الناس في أمره ، فقالت الشيعة إنّه من كبارهم ، وأحد الأبواب ، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق عليه السلام وكان من أهل الكوفة وزعم قوم من الفلاسفة أنّه كان منهم . وله في (كتب) المنطق والفلسفة مصنفات . وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره وإن أمره كان مكتومًا ، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لا يستقر به بلد ، خوفًا من السلطان على نفسه ، وقيل إنه كان في جملة البرامكة ومنقطعا إليها ، ومتحققًا بجعفر بن يحيى فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر ، هو البرمكي ، وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق [٣٠] وكذلك اختلفوا في وفاته فرأي يذهب انه توفي سنة ١٦٠ ه ورأي آخر يذهب انه توفي سنة ٢٠٠ هـــ والأمر المثير هنا هو ورود اسم جابر بن حيان في كتاب عبد الرحمن بدوي [من تاريخ الإلحاد في الإسلام] وكذلك في كتاب عصام محفوظ [حوار مع الملحدين في التراث] ضمن قائمة الملحدين في التراث الإسلامي ، علمًا أن اسمه ارتبط في الكيماء في مخيلة الفرد المسلم ، وإنّه من تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام في ذاكرة الفرد الشيعي ، فضلًا عن ذلك فإنّ عبد الرحمن بدوي وعصام محفوظ في كتابيهما المذكورين لم يوردا ما يدل على إلحاده ، وكذلك لم يذكرا سبب إدراجه في قائمة الملاحدة ، بل الأمر المفارق أنهما عند ذكر حياته أشارا إلى نبوغه الفكريّ ومنزلته العلمية في التراث الإسلامي والثناء عليه من قبل المستشرقين ولا سيما المستشرق باول كروس الذي عني بجهده العلمي في الكيمياء مقارنة بالكيماء اليونانية فيقول في هذا الباب : كيمياء جابر تمتاز بالميل إلى الناحية التجريبية والاتجاه العقلي واستبعاد الخوارق

بينما الكيماء القديمة كثيرًا ما تلجأ إلى الرؤية الوجدانية واستعمال فكرة الخوارق في التفسير [٣١] .

ولم يورد على جابر بن حيان في الكتابين المذكورين أنّه أنكر الألوهية أو بعضاً من العقائد الدينية أو حتى شككّ فيها !! .

فما السرُّ إذن من إدراجه ضمن الملحدين ؟

يرى الباحث أنّ السبب هو النظرة الضيقة التي تُحاسِب الإنسان وفق طائفته ، بمعنى أن الانتماء الطائفي يكون ذريعة وسببًا لاتهام هذا الشخص أو ذاك ، ولا بدّ من إيجاد وسيلة لاتهامه لتكون جسرًا تعبر عليه قناعات أتباع صاحب الدعوى ، فكان شغل جابر بن حيان بالكيماء بل نبوغه فيها وتميّزه على غيره وسيلةً لاتهامه ، وكذلك توسّله بالمنهج العقليّ التجريبي الذي يعدّه كثير من المؤرخين خروجًا عن النصّ الدينيّ أو ندّاً له ، وفي بعض الأحيان يُزرى بالشخص ويُراد من وراء ذلك عقيدته وطائفته .

وقد جاء على لسان بن تيمية قوله : وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْمَشْهُورَةِ عِنْد الْكِيمَاوِيَّة فَمَجْهُول لَا يُعْرَف وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ ، وقد وَصف العاملين بالكيماء بقوله : وَهؤلاء عَامَّتُهُمْ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيُظْهِرُونَ لِلطَّمَّاعِ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ الْكِيمْيَاءَ حَتَّى يَأْكُلُوا مَالَهُ وَيُفْسِدُوا حَالَهُ وَحِكَايَاتُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ عِنْدَ النَّاسِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَحْتَاجَ إلَى نَقْلٍ مُسْتَقِرٍّ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكِيمْيَاءِ يُعَاقَبُونَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ فَتَذْهَبُ أَمْوَالُهُمْ – حَيْثُ طَلَبُوا زِيَادَةَ الْمَالِ بِمَا حَرَّمَهُ اللَّهُ – بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) . وَالْكِيمْيَاءُ أَشَدُّ تَحْرِيماً مِن الرِّبَا . قَالَ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ : مَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ وَمَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ [٣٢] .

وممّن حمل على جابر بن حيّان ووصفه بالساحر ابن خلدون عند مروره على علوم الأمم المتقدمة في علم الكواكب والطبيعيات فقال : ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملّة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التآليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة الكيمياء لأنها من توابعها لان إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر [٣٣] .

هذه الأوصاف المتقدمة بأنّه مجهول وغير معروف في أهل الدين وإنْ عُرف فقد عمل بأكثر العلوم تحريمًا ، وانه كبير السحرة تلك التوصيفات أدرجته ضمن الزنادقة أو الملحدين ،

والإلحاد في وصف جابر بن حيان تعدى في واقعه الشبهة إلى التهمة !! ومعلوم أنّ تلك التهمة تجد قبولًا عند الذي نحا نحوًا سلفيًا ، بينما نجد التوصيف المغاير لجابر بن حيان في كتاب معجم رجال الحديث للسيد الخوئيّ بقوله : جابر بن حيّان الصوفيّ الطرسوسيّ ، أبو موسى من مشاهير أصحابنا القدماء ، كان عالمًا بالفنون الغريبة وله مؤلفات كثيرة أخذها من الصادق عليه السلام ، وقد تعجب غير واحد من عدم تعرض الشيخ والنجاشيّ لترجمته ، وقد كتب في أحواله وذكر مؤلفاته كتب عديدة من أراد الاطلاع عليها فليراجعها ، قال جرجي زيدان في مجلة الهلال على ما حكي عنه : " أنه من تلامذة الصادق عليه السلام ، وإن أعجب شيء عثرت عليه في أمر الرجل أنّ الأوروبيين اهتموا بأمره أكثر من المسلمين والعرب ، وكتبوا فيه وفي مصنفاته ، وكتبه في مكاتبهم كثيرة ، وهو حجة الشرقيّ على الغربيّ إلى أبد الدهر " (٣٤).

وتعجب السيد الخوئيّ في محله من سبب عدم تعرض كتب الرجال لجابر بن حيان ؛ الأمر الذي ألجأه للرجوع إلى جرجي زيدان دون القدماء ، وهذا يفسّر النظرة الدينية للعلوم الطبيعية عند بعض العلماء بالقصور أو عدم الجدوى أحياناً ، وهذا حال يمكن السكوت عنه ، لكن عندما يصل الأمر إلى الاتهام بالزندقة والتكفير فهذا ما لا يمكن السكوت عنه ، لذا اهتم الغربيون بابن حيان لأنه في نظرهم مثّل تيارًا عقليًا أثمرَ نتاجًا علميًا ينسجم وزمنه وربما سابق على زمنه دلّت عليه الاكتشافات الغربية عندما غادروا المدّة كسادهم العلمي وتعسفهم ضد العلوم ومحاربتها ، ليلجوا بعد هذه الفترة المظلمة أبواب التقدم المعرفي والتكنولوجي ، بينما – وللأسف – يبقى العربي يراوح بين أن ينكر أو يكفر أو يزندق رجالاته وعلماءه أمثال جابر بن حيان أو يتطرف في مدحه والثناء عليه بما لا يقبله هو على نفسه ، وفي كلا الحالين الحقيقة العلمية تكون مفقودة أو مغيّبة بينما التهمة باقية مذكورة .

المبحث الثالث : أسباب الإلحاد ، قراءةٌ في الواقع العراقيّ

كثيرٌ من المؤلفات التي تناولت أسباب الإلحاد بصورة عامة عدتها متأتية من عوامل خارجية ولا سيما اليهود والغرب وما يكيلون للإسلام والمسلمين من دسائس ، نعم لا يهمل أثرهم ، ولكن قرب ذلك ينبغي الالتفات إلى العوامل الأخرى التي خرجت من رحم الفكر الإسلامي والتي أنتجها الخطاب السلفيّ المتزمّت الذي يؤمن بالتكفير عوضاً عن الحوار وما يترتب على هذا التكفير من ترويع وتعنيف حدّ القتل ومن توصيف انتقائي وتُهم يفتقد أكثرها إلى البرهان .

ومن الكتابات في هذا الصدد – أي التي تدّعي أن الإلحاد مؤامرة غربية صهيونية على الدين الإسلامي وفكره – ما قاله عبد الرحمن عبد الخالق– وسأذكر فقط رؤوس النقاط – : ونستطيع أن نجمل أهم الأسباب في انتشار الإلحاد هي :

١– الكنيسة الأوروبية

٢– مظالم العالم الرأسماليّ

٣– ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية

٤– اقتران الإلحادية بالقوة المادية

٥– هزيمة العالم الإسلاميّ أمام الهجمة الأوربية [٣٥] .

من الملحوظ في هذه النقاط أن الكاتب يلوم الأطراف الأخرى دون أن يلوم نفسه أو نتاجه الفكريّ الذي احتوى على كثير من الثغرات التي تخلل منها الآخرون نقدًا وتجريحًا ، هذا من جانب ومن جانب آخر إن هذا الكلام يستبطن هزيمةً وضعفًا داخليًا أمام التيارات الأخرى إذ تستطيع أن تؤثر لهذه الدرجة أي درجة ترك الناس دينهم .

ومن الجهود التي تبذل للوقوف بوجه التيارات المحسوبة على الإلحاد ما تبذله العتبة الحسينية المطهرة وعبر مؤسسة الدليل إذ نشرت كتابين في هذا الباب وهما الإلحاد أسبابه ومفاتيح العلاج لمحمد ناصر ، وكتاب نهاية حلم (وهم الاله) للدكتور أيمن المصري ، وهذا الأخير يناقش ويرد على كتاب وهم الاله للكاتب الإنكليزي تشارلز دوكنز .

أمّا كتاب الإلحاد أسبابه ومفاتيح العلاج فقد تعرض لأسباب الإلحاد مجملاً مع الردود عليها من وجهة نظره ، فقال : الأسباب هي دعوى انهدام أدلة الوجود ، مشكلة الشر ، دعوى امتناع نفس فكرة الاله [٣٦] ، ثم يتعرض في مكان آخر إلى أسباب أخرى للإلحاد تُنسب إلى العقل والى التجربة والعلوم الطبيعية ثم الأسباب النفسية والانفعالية ، وأود الإشارة إلى ما قاله في بواعث الأسباب النفسية فقد ذكر أسبابًا ونقاطًا مهمة في هذا الباب هي :

١– الرغبة الشديدة بالتحرر والاستقلالية من حالة العبودية والتبعية والمسؤولية عن الأفعال والتعرض للمساءلة .

٢– الاشمئزاز من السلوك المتعصب والدموي لبعض المنتمين إلى الأديان والحاصل باسم الدين والإله ، وهذا ما يقود إلى رفض الدين حتى أصل وجود إله .

٣– الانبهار الشديد بالنجاح الإداريّ والاجتماعيّ والسياسيّ والصناعيّ والتقني الذي أنتجته العلوم التجريبية والمجتمعات المتحررة من سطوة السلطة الدينية .

٤- التألم من المعاناة من جراء التعرض إلى المصائب والمحن دون أن يرى علامات للتدخل الإلهي لإنقاذهم فتمتلأ النفس بالغيظ والغضب معبرًا عنه بالتمرد على الاله [٣٧] .

نعم هذه النقاط مهمة بمكان ، لكن هناك أسباب أعمق وأكثر أثرًا في نفس الفرد المسلم ومنها التغاضي المتعمد عن كثير من الثغرات في الفكر الديني ولا سيما تلك التي تثبت تشريع القتل والاعتداء على الآخرين كما في الفتوحات الإسلامية التي تحكي قصصًا مروعة عن القتل والسلب وانتهاك الأعراض بحجة الغنائم ، يقول محمد المزوغي : إن فرانسيس باكون على حق حينما قال إن اقبح الأشياء هو الخطأ مؤلها ، فالنتائج المترتبة عن الأخطاء الدينية كانت دائمًا وستكون وخيمة ومدمرة للغاية ، وكلما احترمنا تلك الأخطاء كلما خلخلت كياننا وشوشت أفكارنا وانعكست سلبيا على تصرفاتنا ، إن منبع هذا البؤس الذي تتخبط فيه الإنسانية هو تصوراتهم القبيحة على الإله [٣٨].

إنّ التحولات المجتمعية التي يمر بها العراق تلقي بظلالها على أفكار الناس سلبًا أو إيجابًا ، فمع التغيير السياسي الذي حدث في العراق والذي بدوره يدعي الديمقراطية بعد مغادرة النظام الشمولي والتعسفي صاحب ذلك صعود التيارات الدينية التي كان غالب الناس يتأملون فيها خيرًا وخلاصًا من سوء الأوضاع والمعيشة وحجب الحريات وتكميم الأفواه ومنع الشعائر الدينية ؛ لذا وجدنا استجابة كبيرة للتيارات الدينية في بادئ أمرها ساعدها ذلك على الصعود إلى مراتب سياسية لم تكن تحلم بها ، ولقائل أن يقول هل فقط التيارات الدينية هي التي استلمت المناصب ؟ وأثّرت على الواقع ؟ من المؤكد أن هناك تيارات أخرى ولكن ليس بحجم الإسلامية وتأثيرها أو لنقل الدينية منها والمفارقة الكبيرة في هذا الواقع هي نسيان أو تناسي تلك التيارات سواء أكانت الإسلامية منها أو غير الإسلامية لمبادئها وشعاراتها ، ومن ثم التهافت تهافت الجراد على المصالح والمكاسب الشخصية والحزبية ، وهذا ما أحدث خيبة امل كبيرة للمجتمع العراقي وبدأت حالة الانجذاب تفتر شيئًا فشيئًا وصولًا إلى حد النفور، وأذكر في هذا المجال رأيا مماثلًا – تقريبا- ذكره الشيخ محمد مجتهد شبستري عن قبول بعض الناس للأديان في بداية أمرها فيقول : في بداية ظهور الأديان الوحيانية كان الحديث عن الإيمان فقط ولم يتم الحديث بشكل سلسلة من الأصول العقائدية المعينة ؛ لان المؤمنين كانوا يتحركون من موقع العشق والانجذاب وسط تيار معنوي استوعب وجودهم تمامًا ، وفي هذه المرحلة لا معنى لوجود فاصلة بين موضوع الإيمان والتفكير بهذا الموضوع ومرت سنوات من هيمنة الإيمان على جميع وجود المؤمنين إلى أن ضعفت هذه الهيمنة وظهر مجال ليفكر المؤمنون في موضوع إيمانهم وفي هذه

المرحلة أضحت المسائل الإيمانية بشكل أصول عقائد مدونة وصار الحديث عن العقيدة بدل الإيمان [٣٩] .

أي أنّ النفور بدأ يدب إلى النفوس عندما صُرعت العقول حين رأت المطامع ، كما يقول الإمام علي (عليه السلام) : مصارع العقول عند بروق المطامع [٤٠] ، وتبعا لذلك غودرت الشعارات والملاحم والبطولات من الإيثار ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، وحب لأخيك ما تحب لنفسك ... ، وكل ذلك بدوره أحدث ردة فعل عنيفة في السلوك الجمعي للمجتمع العراقي ، وتغيّر في الفكر والتفكير طال الكثير من النخب عن مدى صدق تلك الشعارات ومدى تطبيقها في الواقع عندما فارقها أصحابها .

ردّة الفعل هذه بُثّت في المجتمع عن طريق منشورات أو حوارات أو محاضرات ترفض هؤلاء الأشخاص الذين تنصلوا عن مبادئهم وعقائدهم وتنتهي مرحلة الجذب والعشق ويحل محلها مرحلة التفكير والمراجعة ومن ثم الكتابة والتأليف ، وبطريقة وأخرى يُسّوق هذا الإدراك الجديد الرافض والممتعض من أصحاب الشعارات على أنه رفض للشعار نفسه أو الدين نفسه ، وحينها نلج في المحذور ، ويجد التوصيف طريقا سالكًا لاتهام الناس وتخوينهم وتأثيمهم بديلًا عن مواجهة المشكلة أو معالجة الشبهة .

إذن من الضروري جدًا الإشارة إلى الحقائق التي أدّت وتؤدي إلى الامتعاض والاعتراض وربما اليأس من الحياة ومن تحقيق العدالة وليس اعتبار المسؤول عن ذلك هو الدين أو منزّل هذا الدين زورًا وبهتانًا .

عندما نجد النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطب أصحابه بقوله : إنمّا هلك من كان قبلكم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . ذلك ما يوجد تناقضًا حادًا بين أفراد المجتمع يُشعر الضعفاء منهم باليأس والقنوط من تحقيق العدالة حتى يصل الحال إلى الثورة على القيم التي يؤمنون بها التي لم يتذوقوا ثمرها في واقعهم بل ينالهم العقاب ، بينما الشرفاء او لنقل المتنفذون بعبارة اليوم يبرّأون منه وبالمقابل يحصلون على الثواب أي الدنيا ونعيمها ، وحينها لا يكفي إقناع المساكين بالصبر والحلم فعاقبة أمرهم إلى خير وهم يرون حقوقهم نهبا والأموال بيد الأغنياء دُولة ، كل ذلك يدعو الى مغادرة قيمهم والخروج منها .

اذن هذه المغادرة والخروج من القيم الدينية او لنقل الميل عنها أتت ردة فعل قاسية نتيجة الانتقائية في الشعارات التي تخدم طبقة معينة وتستضعف أخرى بل وتصادر حقوقها وبذلك تتدحرج تعاليم الدين حسب الأهواء والمصالح .

يقول علي شريعتي : إن المفكرين في القرن السابع عشر والثامن عشر والعصر الحاضر الذين قالوا إن الدين كان عاملا رئيسا في شتات الناس وشقائهم وتثبيت القيد والذلة والضعف والهوان كانوا محقين في الإدلاء بهذا الرأي ؛ لانهم كانوا يرون الدين عائقا عن التطور والرقي والحرية والمساواة بين البشر (٤١) .

في غالب الأحيان تمثل إعادة إنتاج الأصولية التي تؤمن بحقيقة واحدة ومعرفة واحدة وتنكر المعارف والحقائق الأخرى تمثل سخرية ومعاداة لتنوع الحياة واختلافها أحانًا كثيرة عبثية عامدة هدفها الاستحواذ على المكانة الاجتماعية والمنافع الشخصية والمصالح الخاصة ، ولذلك قيل : إنّ اسم الله تعالى لم يمثل على مدى التاريخ إلا ذريعة في الأرض لتبرير أهواء أصحاب الطموح والخداع والاستبداد يستعملونه دائما لكي يبقوا الناس اسفل منهم ويرزحون تحت سلطتهم الغاشمة (٤٢) .

يقول علي شريعتي : إنّ الدين لم يقف بوجه الإلحاد بقدر وقوفه بوجه الدين ، نعم كان الدين على مرّ العصور في صراع دائم مع الدين نفسه ، لقد وقف دين التوحيد الذي يرتكز على وعي الإنسان وبصيرته وعشقه وحاجته الفلسفية الفطرية بوجه دين الشرك المنبثق عن جهل الناس وخوفهم ، ولهذا نرى دين التوحيد دينًا ثوريًا على مرّ التاريخ فكلما نجح دين الشرك التبريري في تحريف الدين الأصلي والتلاعب بعقائد الناس ظهر نبي جديد يدعو الناس إلى اتباع القوانين الإلهية التي تعكس إرادة الله تعالى لذا نرى أن دين التوحيد يتم بنزعة التمرد والإنكار والمواجهة (٤٣).

يقول الشيخ حسن الصفار :"إنّ السمة الغالبة على من يمارسون الوصاية الفكرية ، استثارتهم لانفعالات المتدينين وتجييشهم لعواطفهم بعنوان حماية العقيدة والدفاع عن الثوابت والمقدسات ، لكنّهم لا يبذلون جهدًا يناسب التحديات المعاصرة في إيضاح أصول العقيدة ، وكأن العقيدة تتلخص عندهم في القضايا الجزئية التي يختلفون فيها مع الآخرين " (٤٤) .

بمعنى التعبئة الجماهيرية البسيطة التي تحاكي عوام الناس في عقائدهم وتشجيعها وتبنيها لتكون حاجزًا عن إدراك مدى الكذب والزور الذي يمارسونه كما يُعبر في لغة اليوم ذرّ الرماد في العيون ؛ لأنه من الضروري لأي زعامة كانت أن يكون الأَتباع معصوبي العيون ومن ثم يتسنى توجيههم لأي جهة بيسر وسهولة من غير اعتراض أو امتعاض .

ومن الجهود المبذولة لمواجهة الانحراف الفكري وامتداد التيارات الإلحادية هي حركة التأليف والنشر التي تبين عقم هذه التيارات فضلًا عن أخطارها ، لكن ما ينبغي الالتفات له أن يكون النشر مسؤولًا بمعنى أن لا يتجاوز الحقيقة بنرجسية خادعة لا تسلط الضوء على الواقع .

ففي الوقت الحاضر يكاد يستشري حجم التأليف اللامسؤول ، أي أن كثيرًا من الأفكار التي تمثل تأثرًا وانفعالًا مؤقتًا من غير تروٍّ وتريّث ، فتطبع هذا الأفكار وتتداول بين الناس ، ويروج لها المتربصون بالدين أو أصحاب الطائفية المذهبية للإزراء بالدين أو بمذهب بعينه ، وربما لا تعدو تلك الأفكار سوى رؤى معجلة وأفكارا لم تنضج بعد على أنها تمثل الدين وهنا تثار حفيظة المحافظين للرد عليهم والنيل منهم وقبل هذا وذاك تكفيرهم .

وبالوقت ذاته المؤلفات والمطبوعات الأخرى التي تزعم أنها ترد على الانحرافات المتقدمة ففي كثير من الأحيان تنطلق من برج عاجي مستخدمة الجوانب الفلسفية والمنطقية وتكاد تختفي فيها الجوانب الروحية أو الفطرية والنفسية التي تهفو نحو المطلق بل ولا تنفك عن الإنسان ، واذا كان الخطاب نخبويًا غاب عن غالبية الناس الذين هم المقصود منه .

بؤس الخطاب الديني الذي يجهد نفسه بمعالجة الانحرافات المجتمعية دون الغوص في حقيقتها بمعنى بدل أن يسوق الاحاديث والآيات التي تحرم السرقة ينبغي البحث عن الأسباب ومعالجتها ، وتوفير سبل العيش الكريم ، وكشف تبريرات السراق ... وجميل ما يقوله سيد القمني : " وكم كنا نتمنى للفكر الفقهي المعاصر أن يكون تجاوز هذه العثرة ، عثرة أن يكون الطريق إلى الله مفروشاً بدم خلق الله كما الزرقاوي وابن لادن والقرضاوي وابن عاكف فكلهم في الدموية ملة واحدة " (٤٥) .

إذن عندما يكون الإلحاد شبهة لدى شريحة من الناس أو المتحمسين والطامحين نحو التغير ومن ثم تلاقى هذه الشبهة بالاتهام والتشهير ويكون الأمر متداولا على الألسن على الرغم من خطورة إطلاقها دينيًا واجتماعيًا ففي ذلك مجانبة للموضوعية وعجز عن إيجاد الحلول ؛ لأنه قد يمر الإنسان في حياته بمحطات شك أو ريبة فيتساءل ويستفسر ربما عن اكثر العقائد يقيناً عند غيره ، وهذا التساؤل في حد ذاته لا يعد تهمة ، بل هو خطوة في تحصيل المعرفة ، وان لم يتحصل عليها فتكون شبهة .

أما الموقف المعارض والرافض لهذا التساؤل فهو متأت من أصحاب اليقين حتى لكأنهم يحسون أن تلك الشكوك والتساؤلات تمثل طعناً في إيمانهم ويقينهم ؛ فيتوثبون على الشاك والسائل بنعوت قاسية وأوصاف منفرة ومؤثّمة منها الإلحاد أو الملحد .

وحتى لا نظلم هؤلاء أصحاب اليقين قد تكون توصيفاتهم جزءا من تدينهم وحرصهم كذلك رفضهم لفعل غير مقبول في نظرهم ولكنه في نظر العقل وحتى في نظر الدين أمرًا مقبولًا لا بل أحياناً مندوبًا عندما نسمع أو نقرأ النصوص التي تميز بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر:٩ ، وكذلك النهي

عن الاقتفاء بغير علم (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء : ٣٦ ، وضرورة التفكر قبل الولوج إلى جنة العبادة ف (تفكر ساعة خير من عبادة ألف سنة) .

إذن التساؤلات التي تتجه صوب العقيدة أصولًا أو فروعًا تبحث عن إجابة من جانب ومن جانب آخر تفهّم جدوى المتسائلين بمعنى التفريق بين من يبغي حلًا لما اشتبه عليه ، وبين من يبغي المساجلة والمجادلة والمغالطة وإظهار أمرٍ وإخفاء آخر كما يعبر القرآن الكريم (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) النمل : ١٤.

وفي هذا الباب رأي جميل لعلي شريعتي قريب من اطلاق كلمة الكفر أو الإلحاد في وقتنا الحاضر ، فيقول : إن ما نفهمه من كلمة (الكفر) الذي يعني عدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة والله والمعاد والغيب والمقدسات ليس له واقع موضوعي ؛ وذلك أن جميع البشر متفقون على الإيمان بهذه المبادئ والأصول العامة ، أما الذي نفهمه من الكفر بمعنى اللادين فهو معنى مستحدث وطارئ يعود إلى الثلاثة قرون الأخيرة ، وهو معنى قام الغرب بتصديره إلى الشرق كبضاعة فكرية [٤٦] وهنا لابد أن نسال لماذا صدّر الغرب هذه البضاعة الفكرية ؟ وكذلك عن مدى تقبل الشرق الإسلامي هذه البضاعة في حين انه موطن الديانات السماوية ؟ .

عند الإجابة على هذين التساؤلين لابد من الالتفات إلى الذهنية التي تحاول طرد الأفكار غير المقبولة سواء على مستوى العقيدة أو السلوك وإلصاقها بالآخرين وهذا نوع من التنصل من الذات على حساب الآخرين .

الشيء الآخر أن الغرب اقصى الفكر الديني الذي حال بين الحياة والإنسان أما انه اقصى أو يقصي الدين فذلك ليس في متناول الإنسان لأنه شعور وجداني لا سلطة لاحد عليه ، والتصدير لا يكون بالإكراه إلا في حالات قليلة وإنما في اغلبه عن طريق الترجمة التي يقوم بها المسلمون انفسهم بدافع الإعجاب والتأثر ، بمعنى أن بعض المحسوبين على الدين الإسلامي مارسوا نفس الوصاية الكنسية على عقيدة الإنسان وتفكيره ، وكل تفكير خارج حدود الدوغماتية الدينية مسيحية كانت أم إسلامية يعدونه خروجا على الدين ، وهذا ما حدى ببعض المترجمين أو الكتاب الغربيين انفسهم إلى نقل تجربة التحرر من القيود الدينية التي تكبل عقل الإنسان وتفكيره أما لأجل استنساخ التجربة او لإيجاد عقلية ترفض القيود واستضعاف العقل ، ومن الممكن أيضا زعزعة عقائد الناس وتفككهم من طريق بث الخلافات العقدية بينهم ، علمًا أن الصراع محسوم سلفا ، كما يقول عصام محفوظ : " الحق أن الصراع بين الدين والإلحاد هو صراع غير متكافئ محسوم سلفا لصالح الدين ؛ لأنّ أي جنة تعد بها العقيدة الدنيوية محكومة بالامتحان على الأرض

بعكس الجنة التي تعد بها العقيدة الدينية غير خاضعة للامتحان إلا في السماء " [٤٧] . أي الجانب التجريدي أو الماورائي الذي يأتي من الموقنين به أمره متروك للغيب سيما أنّه مصحوب بالقداسة أما الدعوات الأرضية فيجب على أصحابها تحقيقها وخروجها من رحم التنظير إلى الواقع .

الخاتمة

الفكر الإسلامي يفتح آفاقه للدراسة في كثير من المجالات بلا حظر وخوف عندما تكون تلك الدراسات قشرية أو سطحية وإنّ كثيرًا منها يلاقي قبولًا من جهات رسمية متنفذة سواء أكانت دينية أم سياسية وبالوقت ذاته يتماشى مع خطها ومنهجها ورؤاها ، بينما بعض الدراسات التي تؤشر أو تشخص نقاط الضعف وأسباب التخلف الديني والفكري والاجتماعي يُنظر اليها بأنّها تشكل خطورة على المجتمع ، تريد إفساد جيله وإشعال الفتنة بين أبنائه ... ومن هذه الدراسات تلك التي تعالج مسالة الإلحاد .

فبدلا من وصف المتسائلين أو الشاكين أو من اشتبهت عليهم بعض مسائل الدين بالملحدين اليوم والزنادقة بالأمس حبذا البحث عن أسباب هذه الانحرافات العقدية ومعالجة ما يستلزم علاجه برّوية وهدوء ، فالواجب قبل المبادرة إلى الاتهام البحث عن الشبهات التي أدت الى هذا الفكر المنحرف ، أي التماس العذر خير من التعجل في إصدار الأحكام ؛ حتى يتسنى الوقوف على الحقيقة ، وكما يقال تُدرأ الحدود بالشبهات ، فلا يطبق حكم وينفذ عن طريق شبهة ، وكما معلوم ان لكل شيء درجات (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) المجادلة : ١١ فمن وجد نفسه في درجة عليا لا يكسر من هو ادنى منه ، فمن كسر مؤمنا عليه جبره كما الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام .

ومن النتائج التي توصل اليها الباحث :

١- الإلحاد في التاريخ الإسلامي شابه كثير من اللّبس والاشتباه مثلما حصل في معناه اللغويّ والاصطلاحيّ ، حتى أصبح تهمةً أكثر منه حقيقةً ؛ لأنه طال كثيرًا من العلماء بمجرد مناقشة بعض المسائل الدينية التي هي عنده محل نقاش بينما عند غيره محل يقين ، وبذا اتهم أصحاب اليقين غيرهم حتى وصفوا بالملحدين .

٢- التسيس لكثير من الأفكار بهدف الوقيعة بأصحابها عند السلطان الحاكم ولا سيما اذا تبنى الحاكم رأيا وخالفه عالم معين ذلك الرأي ، فأهون الأمر أنْ يكون ملحدًا ومطرودًا من البلاد كما حدث لابن رشد .

٣- من الشخصيات التي عرف عنها الإلحاد ابن الراونديّ وجابر بن حيّان وقد بين الباحث أنه كان شبهة عند ابن الرواندي ، بينما كان لجابر بن حيان تهمة .

٤- تسمية الإلحاد وتوصيفه في الوقت الحاضر يحتاج إلى إعادة نظر وقراءة ؛ لأنّ غالب الأفكار هي في واقعها ردات فعل متشنجة جرّاء ما يحدث في الساحة الدينية والسياسية من صراع فكري ومصلحي بين تيارات متناقضة في رؤاها الدينية والفكرية .

٥- كثير من الانحرافات العقدية تأتي من الأساليب المتطرفة من المحسوبين على الجهات الدينية عند وعظهم وتسلمهم لسلطة معينة واستئثارهم بالحق والحقيقة ويسلبون غيرهم منها.

قائمة الهوامش

(١) تاج العروس ، الزبيدي ، ٥ / ٢٣٧ .
(٢) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، ٢٠ ،
(٣) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ١ / ١١٩- ١٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ١٢٠ .
(٥) مجمع البحرين ، الشيخ الطريحي ، ٣ / ١٤١ .
(٦) الكشاف ، ٢ / ١٣٢ .
(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، ١١ / ١٨٧ .
(٨) ينظر : تفسير مفاتح الغيب ، ١٥ / ٧٢ .
(٩) تفسير الميزان ، ٨ / ٣٤٥ .
(١٠) تفسير الامثل ، ٥ / ٣٠٤ .
(١١) تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ٣ /٤٢٦ .
(١٢) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، ١٢ / ٣٤٧- ٣٤٩ .
(١٣) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٧ / ١٤٤ .
(١٤) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي ، ٥ / ٣٩ .
(١٥) تحقيق ما للإلحاد من مقولة ، المرزوقي ، ١٠ – ١٣ .
(١٦) من تاريخ الإلحاد في الاسلام ، ٢٨ .
(١٧) المصدر نفسه ، ٣٢ .
(١٨) ينظر : حوار مع الملحدين في التراث : ١٧ ، ١٩ ، ٢٨ .
(١٩) وهم الإلحاد ، د عمرو شريف ، قدم له د محمد عمارة ، ٤ .
(٢٠) تحقيق ما للإلحاد من مقولة ، ١٣٧ .
(٢١) ينظر : الفكر الإسلامي المعاصر بين التجديد والتنوير ، ماجد حميد ، أطروحة دكتوراه ، ٥٧ .
(٢٢) سيكولوجية الجماهير ، ١٠٣ .
(٢٣) حوار مع الملحدين في التراث ، عصام محفوظ ، ٣٨ .
(٢٤) من تاريخ الإلحاد في الفكر الاسلامي ، ٦٩ .
(٢٥) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد – عبد الرحيم بن عثمان الخياط المعتزلي ، ١٠٢ .
(٢٦) فتنة الوراق – عبد المنعم المحجوب ، ٣٥ .
(٢٧) ينظر : حوار مع الملحدين في التراث ١٧ .

(٢٨) من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، ٤٣ .
(٢٩) ينظر : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، ٧٧-٧٨ .
(٣٠) فهرست ابن النديم ، ٤٢٠ .
(٣١) ينظر : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، ١٥٨ .
(٣٢) ينظر : مجموع الفتاوى ، ٢٩ / ٢٧٤ .
(٣٣) تاريخ ابن خلدون ١ /٤٩٧ .
(٣٤) معجم رجال الحديث ،السيد الخوئي ، ٤ / ٣٢٨
(٣٥) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، ٨-١٥
(٣٦) ينظر : المصدر نفسه ، ٨٣ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ١٥١-١٥٤ .
(٣٨) ينظر : تحقيق ما للإلحاد من مقولة ، ٤٤٢ .
(٣٩) هرمنيوطيقا القرآن والسنة ، ٢٢٦- ٢٢٧ .
(٤٠) نهج البلاغة ، الحكم القصار رقم الحكمة ٢١٩ ، ص ٥٩٠
(٤١) دين ضد الدين ، ٧٦ .
(٤٢) تحقيق ما للإلحاد من مقولة ، ٤٤٣ .
(٤٣) دين ضد الدين ، ٥٣ .
(٤٤) الحوار والانفتاح على الآخر ، ٢٤٢ .
(٤٥) انتكاسة المسلمين إلى الوثنية ، ٤٩ .
(٤٦) دين ضد الدين ، ٢٦ .
(٤٧) حوار مع الملحدين في التراث ، ٢٤ .

قائمة المصادر

القرآن الكريم

١- الإلحاد اسبابه ومفاتيح العلاج – محمد ناصر ، العتبة الحسينية المطهرة ، اصدارات مؤسسة الدليل ، ط٢/ ٢٠١٧ .

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ /٢٠٠٧ .

٣- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم – ابو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي (د- ت ، ط) .

٤- انتكاسة المسلمين الى الوثنية التشخيص قبل الاصلاح – سيد القمني ، مؤسسة الانتشار العربي – بيروت ، ط١/ ٢٠١٠ .

٥- تاج العروس من جواهر القاموس – محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي (ت١٢٠٥هـ) تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤ .

٦- تاريخ ابن خلدون – عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ه) ، تحقيق خليل شحادة ، دار احياء التراث – بيروت ، ط٤/٢٠٠١ .

٧- التبيان في تفسير القران – أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق وتصحيح: احمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٨- تحقيق ما للإلحاد من مقولة – محمد المزوغي ، مكتبة الفكر الجديد ، منشورات الجمل / ٢٠١٤ .
٩- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب – محمد بن عمر ابن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ) قدم له خليل محيي الدين الميس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٥ .
١٠- التفسير الكاشف – محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط ٢/ ١٩٨٧ .
١١- حوار مع الملحدين في التراث – عصام محفوظ ، مكتبة التنوير/ دار الفارابي – بيروت ، ط١ / ٢٠٠٤ .
١٢- الحوار والانفتاح على الآخر – حسن بن موسى الصفار ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي – بيروت ، ط٢/ ٢٠١٢ .
١٣- دين ضد الدين – علي شريعتي ، ترجمة حيدر مجيد ، دار الامير للثقافة والعلوم ، بيروت ، ط١ / ٢٠٠٣ .
١٤- سيكولوحية الجماهير – غوستاف لوبون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت- لبنان ، ط٧ /٢٠١٦ .
١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري – شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ه) ، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت ، ط٢ / (د- ت) .
١٦- فتنة الوراق –عبد المنعم المحجوب ، مكتبة التنوير/ تانيت للنشر والدراسات ، ط٢ / ٢٠١٦.
١٧- الفكر الاسلامي المعاصر بين التجديد والتنوير – ماجد حميد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة الى كلية التربية /ابن رشد ، جامعة بغداد / ٢٠١٥ .
١٨- كتاب الفهرست – ابو الفرج محمد بن يعقوب ابن النديم البغدادي (ت ٤٣٨ ه) تحقيق رضا تجدد ، (د- ت) .
١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ / ٢٠٠٥ .

٢٠- مجمع البحرين ومطلع النيرين ، فخر الدين الطريحي النجفي (ت١٠٨٧هـ) تحقيق : احمد الحسيني ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، ط٢ /١٩٨٨ .

٢١- مجمع البيان في تفسير القران – أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) حققه لجنة من العلماء ، قدم له محسن الأمين العاملي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط٢/٢٠٠٥.

٢٢- مجموع الفتاوى – تقي الدين احمد بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ه) ، طبعة الشيخ عبد الرحمن قاسم ، (د- ت) .

٢٣- المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية ،الهيأة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ١٩٨٣ .

٢٤- المعجم الفلسفي – جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٢ .

٢٥- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة – ابو القاسم الموسوي الخوئي ، مؤسسة السيد الخوئي ، ط٥ / ١٩٩٢ .

٢٦- من تاريخ الالحاد في الاسلام – عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢/ ١٩٨٠ .

٢٧- الميزان في تفسير القران – محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي – بيروت – لبنان ، ط١ /١٩٩٧ .

٢٨- نهج البلاغة – مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : صبحي الصالح ، منشورات أنوار الهدى ، إيران ، ط١ / ٢٤٢٦ ه .

٢٩- هرمنيوطيقا القرآن والسنة – محمد مجتهد شبستري ، ترجمة احمد القبانجي ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ / ٢٠١٣ .

٣٠- وهم الالحاد – عمرو شريف ، تقديم محمد عمارة ، هدية مجلة الازهر/ ٢٠١٣ .